الفصل السابع

ها أنت ذا أيها الطائر العزيز تنشر في الجو المظلم الساكن نداءك السريع البعيد كأنه استغاثة المستغيث ... ما خطبك؟ وما أنباؤك؟ وما الذي يغريك بي ويسلطك عليَّ؟! لا أكاد أمضي في النوم حتى تسرع إليَّ فتوقظني، كأنما أخذت على نفسك أو أخذ غيرك عليك عهدًا ألا تُخَلِّي بيني وبين النوم، وكأنما كلفت نفسك أو كلفك غيرك أن توقظني إذا تقدم الليل لتظهر لي من الأمر على ما كان خليقًا أن يفوتني إن استسلمت للذة الأحلام ...! ابعث نداءك سريعًا بعيدًا أو لا تبعثه فقد أيقظتني، وما أرى أني سأعود إلى النوم دون أن أشهد شيئًا كالذي شهدته أمس حين كانت أختي ماثلة ذاهلة كأنما تنتظر أخبار السماء، إني لأشعر بأني سأراها ماثلة ذاهلة حيث رأيتها أمس، وإني لأتهيأ للنهوض إليها، ولكن نداءك لا ينقطع، إن لك لشأنًا ...!

ماذا! إن جوَّ الليل المظلم الساكن المهيب ليس خالصًا لك هذه الليلة كما تعوَّد أن يخلص من قبل، ماذا أيقظ الطير؟ فإني لأسمع خفق أجنحتها، وأحس كأنها منتشرة قد خرجت من أوكارها حائرة مضطربة في هذا الجو المخيف، ماذا أيقظ الكلاب؟ إني لأسمع نباحها قويًّا متصلًا بعيدًا فيه إلحاح وترجيع كأنها تدعو من لا يسمعها.

ماذا أيقظ الناس؟ إني لأحس حركة خارج الدار، وإني لأسمعهم يتداعون ويتنادون، وإني لأشعر كأنهم يسرعون إلى غاية لا أعرفها.

ماذا أيقظ من في الدار؟ إن الحركة من حولي لتكثر وتختلط وتشتد، وإني لأشعر بالفزع قد انتشر في الجو كما ينتشر الدخان الكثيف.

وهذا نداؤك أيها الطائر العزيز ما زال متصلًا سريعًا بعيدًا، كأنك لم توكَل بإيقاظي وحدي، وإنما وُكلت بإيقاظ الناس جميعًا والأحياء جميعًا، انظر! إن كل شيء قد استيقظ من حولك، ولكن نداءك ما زال متصلًا سريعًا بعيدًا، أتريد أن تتحدث إلى النجوم؟ ولكني